العدد ٩/ ٢٠١٩

الأحد ٣ آذار

أحد مرفع اللحم (الدينونة)

تذكار الشهداء إفطروبيوس وكلاونيكُس وباسيليكس

اللحن السابع

إنجيل السَحَر السابع

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نـزيدُ وإن لم نـأكُـلْ لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن لـه العـلمُ متَّكِئاً في بـيتِ الأوثـانِ أفـلا يـتقوَّى ضميُره وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيهلِكَ بسبَبِ عِلمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي مـاتَ المسيحُ لأجله* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

الدينونة

تذكّرنا كنيستنا المقدّسة بالدينونة كلَّ عام تحضيرًا للصوم الكبير المقدّس. لذا، يُقرأ على مسامعنا مَثَل الخراف والجداء الوارد على لسان الربّ يسوع في الإنجيل بحسب متّى الإنجيليّ (مت ٢٥: ٣١–٤٦). تدعونا الكنيسة من خلال هذا المَثَل إلى اعتبار يوم الفصح المقدّس كأنّه يوم الدينونة. تاليًا، تبرز الحاجة إلى السلوك وفق وصايا الربّ يسوع، فننظر إلى قريبنا ونحبّه لأنّه صورة المسيح. تنبع محبّتُنا للآخر من محبّتنا للربّ يسوع المزمع أن يموت من أجلنا ويقوم في اليوم الثالث، بذلك نصبح مؤهّلين للإشتراك معه في قيامته والدخول إلى فرحه.

إذًا، الطريق والهدف أمامنا واضحان، وما علينا سوى سلوك السبيل القويم للوصول إليهما. هدفُنا أن نكون مع المسيح، لكن مَن يحدّد السبيل القويم وكيف نهتدي إليه؟ الربّ يسوع المسيح نفسه أرشدنا إليه، سالكًا إيّاه هو نفسه، وهو سبيل المحبّة: محبّة الربّ ومحبّة القريب كالنَّفس.

يطلب منّا الربّ يسوع دائمًا أن نبادر في المحبّة، بالعمل وفق قانون هذه المحبّة. ألاّ نعمل الشر لا يجعل منّا أشخاصاً مبرَّرين، لذا يجب أن نعمل الخير لنتبرَّر. هذا واضحٌ من الأمثال الكتابيّة التي أحدُها مَثَل الوزنات الذي قرأناه منذ بضعة أسابيع (مت ٢٥: ١٤–٣٠). أمّا في مَثَل اليوم، فنرى الله يدين الذين لم يبادروا إلى محبّة القريب: «إذهبوا عنّي يا ملاعيُن إلى النار الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائكتِه، لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني، عَطِشْتُ فلم تَسقُوني... حينئذٍ يُجيبونه هم أيضًا قائلينَ: يا ربُّ متى رأيناكَ جائعًا أو عَطشانًا... ولم نخدُمْك؟ فيُجيبهم قائلًا: الحقَّ أقولُ لكم: بِما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحَدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه. فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والصدّيقونُ إلى الحياة الأبديَّة» (مت ٢٥: ٤١–٤٦). أيضًا، في مَثَل الوزنات، يدين الله مَن لم يستعمل

وزنته خوفًا من خسارتها، لأنّ موقفه كان سلبيًّا. لذا قال له سيّده: «أيُّها العبدُ الشِّريرُ والكَسلانُ عرفتَ أنّي أحصدُ حيثُ لم أزرع وأجمعُ مِن حيثُ لم أبْذُرْ، فكان ينبغي أن تضعَ فِضَّتي عند الصيارفة، فعِند مجيئي كنتُ آخُذُ الذي لي معَ ربًا. فخُذوا منه الوزنةَ وأعطوها للّذي له العشرُ وزناتٍ، لأنَّ كلَّ مَن له يُعطى فيزدادُ ومَن ليس له فالذي عنده يؤخذُ منه، والعبدُ البطَّالُ اطرَحوهُ إلى الظلمةِ الخارجيَّةِ، هناك يكونُ البكاءُ وصريرُ الأسنانِ» (مت ٢٥: ٢٦–٣٠).

الملاحظ أنّ الدينونة هذه تكون في اليوم الأخير، أي عند مجيء الربّ: «ومتى جاءَ ابنُ الإنسانِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القدِّيسَين معه فحينئذٍ يجلسُ على كُرسيّ مجده» (مت ٢٥: ٣١)، «وبعد زمانٍ طويلٍ أتى سيّدُ أولئِكَ العبيدِ وحاسَبهم» (مت ٢٥: ١٩). سيصدر الحكمُ الأخير يومَ الدينونة، لكنّ هذا لا يُخفي أنّنا خطأة منذ لحظة ارتكابنا الخطأ. السائق، مثلًا، لا ينتظر أن تصله المخالفة المروريّة، بل يعرف في قرارة نفسه أنّه أخطأ لحظة تجاوزه الإشارة الحمراء. هكذا، كأنّ الدينونة تبدأ منذ لحظة ارتكاب الخطيئة، وكمال الدينونة يكون في اليوم الأخير. لذا، تذكّرنا الكنيسة دومًا بأنّ الهدف أمامنا، وعلينا الإنتظار والتطلّع إلى ذلك اليوم، عاملين أعمال الصلاح من دون توقّف، لأنّ أعمالنا ستحضر معنا في يوم الدينونة لتشفع فينا: «أيّها المسيح لما تستدعي كلّ نسمة إلى محلّ واحد لأجل الفحص، حينئذٍ يكون خوفٌ عظيمٌ وشدّةٌ لا توصف، إذ ليس لهم معونة سوى الأفعال إلى الأدهار»، «إنّ الربّ يوافي ليدين، فمَن يحتمل معاينته؟ فارتعدي أيّتها النفس الشقيّة، ارتعدي وهيّئي أفعالًا تناسب الطريق، لكي تَجدي المتحنِّنَ رحومًا، الذي هو إله آبائنا»، «يا نفسُ، إنّ هناك لا شيء يستطيع أن يعين إذ إنّ الله هو الديّان، لا علمٌ ولا صناعةٌ ولا مجدٌ ولا صداقة سوى قوّة أعمالِكِ» (قانون سَحَر أحد مرفع اللحم).

واضحٌ في الكتاب المقدّس أنّ دينونتنا حسب أعمالنا، لأنّ الربّ يسوع يعلن في إنجيل متّى: «ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذٍ يجازي كلّ واحد حسب عمله» (مت ١٦: ٢٧). كما يؤكّد الرسول بولس ذلك مستخدمًا التعبير نفسه: «ولكنّك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كلّ واحد حسب أعماله» (رو ٢: ٥–٦). أيضًا، يعلن الله عن نفسه في سفر إرمياء النبيّ قائلًا: «أنا الربّ فاحصُ القلب مُختبِرُ الكُلى لأعطي كلّ واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إر ١٧: ١٠). علينا أن نلاحظ في هذين المثلَين أنّ الحثّ على أعمال الرحمة والمحبّة هو حثٌّ إيجابيّ، أي إنّنا لن ندخل الملكوت إنْ لم نعمل أعمال البرّ. لا يكفي ألاّ نعمل أعمالاً شرّيرة كي لا نُدان، بل يجب أن تكون لدينا أعمالٌ صالحة لنَخلُص. لا يكفي أن نكون «أوادم» كي نتبرر، بل أن نعكس إيمانَنا بالربّ يسوع لنَخلُصَ بأعمال البرّ، وهذا ما يسمّيه الرسول بولس:

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينِه والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مبارَكي أبي رِثوا الملكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشاناً فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ

أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعيُن إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانا فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عُريانا أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

يجب أن نتعلَّم كيف نحيا حياةً سماوية. ليس هذا بالأمر السهل لأننا نعيش حتى الآن حياة مقاومةٍ ومعارضة. إليكم مثال رجلٍ صاحب منزل «الإيمان العامل بالمحبّة» (غل ٥: ٦).

إذًا، في استعدادنا لخوض مسيرة الصوم، علينا السعي إلى الإهتمام بالآخرين ومساعدتهم قدر المستطاع، وعدم إظهار أنفسِنا صائمين، متذكّرين قول الربّ: «وأمّا أنتَ فمتى صمتَ فادهَن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائمًا بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانيةً» (مت ٦: ١٧–١٨). هكذا نستعدّ للقاء ربّنا يومَ الفصح المقدّس، معتبرين هذا العيد المبارك صورةً عن دينونتنا في يوم الأخير، عسى أن نكون بين خراف اليمين.

سبت الأبرار

إبتدأنا منذ أسبوعين الإستعداد للرحلة التي تقودنا بها كنيستنا المقدّسة نحو قيامة الربّ يسوع من بين الأموات. ها نحن اليوم نستعدّ لبلوغ فرحٍ عظيم نشهد فيه قيامة الربّ الثلاثيّة الأيّام. أفراح هذا العالم الفاني لا تفارقها الأحزان. في عالمنا لا نجاح من دون تعب ولا مجازاة من دون جهاد، حتّى القيامة أتت بعد الصليب. في هذا العالم لا تبرير إلاّ بالموت، لذا لا نقيم تذكار الأبرار إلاّ بعد أن نكون قد تذكّرنا أمواتنا. إنطلقت رحلتنا من اليوم الذي أقمنا فيه تذكار المرأة الكنعانيّة. رحلةٌ نصبو من خلالها إلى سماع العبارة التي سمعتها الكنعانيّة: «عظيمٌ إيمانك»، عندئذٍ نتجرّأ على الوقوف أمام الديّان العادل غير محرَجين بخطايانا.

نقف على عتبة الصوم بين الماضي والمستقبل، بين إنساننا العتيق والإنسان الجديد الذي نبتغي أن نكونه. ندخل هذا المضمار لنغيّر شيئًا فينا، ويمكننا تشبيه هذا الدخول بدخول شابٍّ إلى الجامعة. لم نسمع يومًا بأحدٍ دخل جامعةً ليتخرّج بعد سنوات من دون أيّ تغيّر. كما لم نسمع بأحد دخل الجامعة وفرح بنيله الشهادة وفي اليوم التالي ترك علومه كلّها وعاد إلى حالة الرعونة التي كانت قبل الدراسة. كان هذا الشاب الجامعيّ واقفًا بين حاله القديمة وحاله الجديدة التي كان مزمعًا بلوغها. اختار بشكلٍ طبيعيّ الإستفادة من فرصة التطوّر والتقدّم التي تقدّمها له علومه وشاء ألاّ يعود إلى الماضي الذي أراد تغييره وتطويره. هذه حالنا كل سنة حين ننال فرح المشاركة في قيامة الربّ يسوع. حين نجاهد روحيًّا ونقطع ميدان الصوم بالتوبة والتواضع. حالٌ غالبًا ما نترك جوائزها وننساها لنعود إلى حال ما قبل النجاح، ما قبل القيامة، فنشابه الجاهل الذي ترك نجاحاته وعاد إلى طيشه.

قبل بدء الصوم تضع الكنيسةُ المؤمنَ أمام هذه الحالة. أقمنا في الأسبوع الفائت تذكار الراقدين، ورفعنا الصلاة إلى الله لكي يرحم نفوس جميع المنتقلين عنّا إلى الحياة الأبديّة. ترفع الكنيسة الصلاة، ليس من أجل نفوس مَن يذكرهم أقاربهم فقط، بل من أجل نفوس مَن ليس لهم من يذكرهم وجميع السابق رقادهم من آدم حتّى اليوم. تؤكّد الكنيسة بذلك على الرباط الوثيق الذي يجمع

الأحياء والراقدين، مشدّدةً على حياة الشركة التي تحياها مع مَن سبقونا. نرى ثمار هذا التبدّل في السبت التالي، حين نقيم تذكارًا لجميع الأبرار الذين سبقونا إلى أحضان الآب السماويّ. هؤلاء هم مثال لنا لنتعلّم كيف نرضي الله. منهم مَن تلألأ بالنُّسك والفضائل أو مَن اعترف بالإيمان القويم حتّى الدم على مثال القدّيسين الأربعين شهيدًا الذين نقيم تذكارهم أيضًا في التاسع من شهر آذار.

قبل بدء الصوم، نتذكّر حياة الفردوس التي يحياها المؤمنون الراقدون الأبرار. نتذكّر أنّ هذه الحياة تأتي بعد الموت. إنها صورةٌ لحياة آدم وحوّاء في الفردوس قبل السقوط التي نسعى للعودة إليها. حين نعيّد لهؤلاء الأبرار، نضع أمامنا صورةً مشرقة للحياة الموعودة لكي حين ننظرها، نتشوّق لبلوغها. مثلما حين يرى الإنسان محبوبه واقفًا على ضفّة النهر، يبذل قصارى جهده للعبور نحوه ولقياه. هذه حالنا أمام هذا المشهد البهيّ، مشهد الحياة الأبديّة. تزيد الكنيسة من حماستنا للإنطلاق بمسيرة الصيام بعزمٍ وبخطى ثابتة مبتغين هذا البهاء. أمام هذا المنظر، لا بدّ من أن نتذكر الغنيّ الذي عانى العذاب الأبديّ حين شاهد لعازر الفقير الذي كان يستعطي عند بابه، بين أحضان إبراهيم. كم أنّ هذا المشهد مرعبٌ: مِن تنعّم بالمجد الفاني إلى العذاب الأبديّ ومن معاناة العذاب الأرضيّ إلى بلوغ المجد الأبديّ.

ليس سبت الأبرار حدثًا عابرًا، كما أنّ القيامة ليست حدثًا عابرًا أيضًا. إنّها حالةٌ نعاينها ونتذوّقها فنسعى جاهدين للمحافظة على كنزها الثمين. لم نسمع بإنسانٍ نال حياة لكنّه فضّل الممات، ولا بإنسانٍ فضّل الفقر على الغنى. حالنا هي العبور من الموت إلى الحياة، من الفقر إلى الغنى، هي اختيارنا أن نكون أبناءً للنور.

الكنيسة هي أمٌّ، مهما كبر أبناؤها، لا تنفكّ تعتني بهم وتخاف عليهم. لذلك، تُعيّد الكنيسة هذه المواسم سنويًّا لكي تحتضن، مرّةً أُخرى، زلّات أبنائها معيدةً إيّاهم إلى الطريق القويم. دوماً سيكون هناك ابنٌ يشطر المجدَ الذي ناله في الفصح ويعود إلى حياة الظلمة. كأمٍّ حنون، تغذّي الكنيسة أبناءها من دون انقطاعٍ وتسهر على خلاصهم. الطريق طويلٌ مليء بالأشواك والصعاب، لكنّ المُنتصر هو المواظب إلى المنتهى. ذاك يسمع: «عظيمٌ إيمانك... أدخل إلى فرح ربّك» وينال الخلاص. هناك الحياة التي لا تفنى والغبطة الأبديّة حيث الأبرار ينالون إكليل الظفر الذي لا يُنزع منهم.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

وعائلة ويعلم تماماً كيف يؤدي عمله بشكل جيد، لكنه يقوم به رغم إرادته. هكذا تنشأ المقاومة الداخلية. إن لم نتعلَّم التخلُّص من هذه المقاومة الداخلية لن نتمكن من دخول ملكوت السموات والسُّكنى مع الملائكة والقديسين. لأننا قد اكتسبنا عادة معارضةِ أمرٍ ما بشكل متواصل إذ هناك دائماً ما هو ضدّ إرادتنا. لم نتعلَّم الطاعة لإرادة الله، بل نريد أن نحقِّق مشيئتنا في كل حين. في هذه الحال لن يكون لنا مكان في الفردوس.

فلنكن إذاً شاكرين لله على كل شيء. فهو يعلم لمَ وضَعنا في الحالة التي نحن فيها ولسوف نحصل على أقصى الاستفادة منها حين نتواضع.

تذكَّروا دوماً أن كلَّ عمل نؤدّيه هنا في هذه الحياة هو لله. هو يعطينا إياه. علينا أن نطبِّق مُخطّط الله سواء كنا مؤمنين أم لا، أتقياء أم لا.

الشيخ تداوس الصربي